لويس عوض

المكالمات أو شطحات الصوفي

« الناسوت » هي المرحلة الثانية من المراحل الثلاث التي تتشكل منها قصيدة لويس عوض الطويلة « المكالمات او شطحات الصوفي » . وكنا قد نشرنا المرحلة الاولى منها ، « اللاهوت » في سبعة عشر مقطعاً ، في العدد الماضي من « حوار » . ويأمل الدكتور عوض ان ينشر القصيدة كاملة في كتاب عندما يفرغ من وضع المرحلة الثالثة والاخيرة منها ، « الخلاص » .

الناسوت

١ : الصوفي يلبس جلدَ آدم

وقالوا : ربُّنا واحد ، فقلتُ : ليتَه عشْرَهْ
كمثلِ زيوسَ في الاوليمبِ يحسو الراحَ في زُمرَهْ
ويؤنس بعضُهم بعضاً وتحلو العزلةُ المُرّهْ
وينسَوْنا وننساهم ، ويشرب آدمٌ خمرَهْ

فان ألقى زيوسُ عليَّ صاعقةً على غرّهْ
شكوتُ لغيره امرَهْ وعرّفتُ الورى جَوْرَهْ .
أجاب العقل : يا مجنونُ ، لا تستهوِكَ الفكرَهْ
عصيتَ أباكَ فاقبلْ عدلَه في الخلق والعبرَهْ
وأعطى الصكَّ للغفران ممهوراً بلا ثغرَهْ

٢ : الصوفي يسمع نجوى حواء

جميلٌ انتَ يا ابليس ، كالاملاكِ والشُهُبِ
تدلّى شعركَ الذهبيُّ تحت وشاحكَ القصبي
وتبزغ في شروقِ شمسي فوق الموج والحَبَبِ
وتُنشد تحت نافذتي على قيثاركَ الذهَبي
فتأسر روحيَ الحمقاءَ بالاحلام والطَرَبِ
لكذّابون مَن دمغوكَ بالقرنين والذَنَبِ
وقالوا : مُوقدُ الشِعْرَى ، وكنيتُه ابو لَهَبِ
هَوَى لمّا رماهُ اللهُ في غضَبِ
هفتْ روحي الى قيثاركَ المسحور ، فاستجِبِ

٣ : الصوفي يلبس جلدَ قابيل

أنا قابيلُ ، لغزُ الشرِّ ، مشهورٌ بأحزاني
فلحتُ الارضَ بالمحراث فاستنبطتُ اشجاني
رويتُ الارضَ من عَرَقي لأسقي غرسَ ايماني
وقدّمتُ بواكيري من الحنطة قرباني
فأحرَقها بصاعقةٍ وأتلفَها بنيرانِ

أخي هابيلُ يرعى البُهمَ في صحراءِ صفوانِ
وقدّم شاتَهُ زُلفَى فبارَكَها بتحنانِ
وخلتُ اللهَ يهوى اللحمَ كالعُزّى وأوثانِ
فقدّمتُ أخي المذبوحَ نحو اللهِ قُربانِي

٤ : اللعنة تجلجل في أرجاء الكون

وقال اللهُ : يا قابيلُ ، هيّا أغرُبْ على عَجَلِ
طريدٌ انتَ في الآفاقِ ، ملعونٌ من الأزَلِ
ونصفُ بنيكَ من ذئبٍ ، ونصفُ بنيكَ من حَمَلِ
وخرّ الربُّ مفلوجاً كمعلولٍ بلا عِلَلِ
تعلّقَ لُطفُهُ في الكون بين الفجر والطَفَلِ
فيا غوثاهُ ، إنْ وقفتْ إرادُته على شَلَلِ
هو الجبّارُ يقتُلني ، هو الرحمنُ يغفرُ لي
ولا يدري أيشفي أم يُميتُ الكونَ في زَلَلِ
ولا يرضى لنا طِبّاً ليُبرئنا من العِلَلِ

٥ : الصوفي يلبس جلدَ هابيل

أنا هابيلُ ، لغزُ الخيرِ ، مبرورٌ بلا نِعَمِ
دخلتُ المسرحَ الأكبرَ بالمزمارِ والغَنَمِ
ومنهُ خرجتُ لم يعلقْ هباءُ الكون في قَدَمي
بلا حرثٍ ولا نسلٍ ولا نَهَمٍ ولا نَدَمِ
رآني اللهُ مذبوحاً كشاةٍ خُضّبَتْ بِدَمِ
فما مدّ اليدَ الطولى ليُنقذَني من العَدَمِ

كما رقّ لإسحٰقَ على الاصباحِ في القِدَمِ
وما أعرفُ لي ذنباً سوى التسبيح من نَغَمِ
تُرى ما الخطبُ يا أبتِ ؟ لمنْ أشكوكَ يا أَلَمي ؟

٦ : الصوفي يلبس جلدَ أيوب

أنا أيُّوبُ ، مشهورٌ بتسبيحي وتقبيحي
ويومَ بصقتَ ، يا اللهُ ، في وجهي وفي روحي
شكرتُ ، فزدتَني بصْقاً ؛ وثرتُ ، فزدتَ من قبيحي
سألتُ الغابةَ العذراءَ ، ثم صرختُ في الريحِ :
لماذا يبصقُ الرحمنُ في وجهي وفي روحي ؟
ولمْ أفهمْ إجابتَها بهمهمةٍ وتلميحِ
فبُلتُ على صديدِ الخلقِ من غيظي وتبريحي
ومِن بَولي مزجتُ البلسمَ الشافي لمقروحِ
فلا تغضبْ ، فطبّي زادَ من جرحي ومن قبيحي

٧ : الصوفي يلبس جلدَ ارمياء

رأيتُ اللهَ في الصحراء يمشي فارعَ العُودِ
ويرعى الضأنَ بالمزمار ليلاً مثلَ داوُدِ
فيُشجي البدرَ والانغامَ بالأصداء في البيدِ
ويُبكيها ويسكبي ليهمي الغيثُ بالجُودِ
ولكنّ الورى صُمٌّ كأحجارٍ جلاميدِ
فلا الارغولُ يُشجيهمْ ولا تُشجي أغاريدي
ولكنّ الذي استوحى دعاءَ الناي في البيدِ

أحبّ الليلَ في البيد وغنّى للجلاميدِ
الى انْ يستدرّ الماءَ من صخرِ الفَدافِيدِ

٨ : الصوفي يجلس في العشاء الاخير : الخبز

أكلتُ اللهَ في خبزي ، فقوّى زندَ ايماني
فلما استفهمتْ نفسي : تُرى ما سرُّ قرباني ؟
أجاب اللهُ : يا عبدي ، انا بذرةُ أكواني
انا الحَبّةُ ، أُسُّ الخلق ، ديمي أورجوسُ ، الباني
ورحمُ الارض يُطفئُني ، ورحمُ الزوجِ يلقاني
فأزكو مثلَ سنبلةٍ ، وأنمو مثلَ انسانِ
وهذا الخبزُ من لحمي ، فكُلْني أكلَ جوعانِ
أعِشْ فيكَ كعازارَ ، وأنضو بكَ أكفاني
فلولاكَ لمات الحَبُّ في صحراءِ صفوانِ

٩ : الصوفي يجلس في العشاء الأخير : النبيذ

شربتُ اللهَ في خمري ، فما جفّتْ عناقيدي
نبيذي من دمِ الفادي جرى من جرحِ معبودي
فأجرُعهُ وأكرُعهُ واترُعهُ كعربيدِ
فلا اسقى ولكنْ اشتهي بالحُبِّ تسهيدي
واجمعُهُ بأحواضٍ من الياقوت منضودِ
لتعميدي وتغسيلي وتغسيلي وتعميدي
فأملأُ بركةَ الأحزانِ من آثامي السودِ
ليَ الغفرانُ إنْ اشهرتُ اسلامي وتهويدي
بلا حُبٍّ ولا صلْبٍ ولا خمْرٍ وتعميدِ

١٠ : الصوفي يلبس جلدَ القديس بولس

إلهي صائدٌ ماكرْ ، انا من امرِهِ حائرْ
يقيّدُني ويُطلقُني ، كمرٍّ حاذقٍ ماهِرْ
وينصبُ لي فخاخاً ، اينما سرتُ انا عاثِرْ
ففي يومٍ يُجالسُني لأهوى وجهَهُ الباهِرْ
ويوماً تشمئِزُّ النفسُ من إعراضه الجائِرْ
ويوماً تهصرُ البُرَحاءُ قلبي المؤمنَ الكافِرْ
معاذَ اللهِ أن أُصطادَ بالحيلة ، يا ماكِرْ
معاذَ اللهِ ان اسجدَ للقوّةِ ، يا قاهِرْ
لئنْ جئتُ فمختاراً ، غداً آتيكَ يا ناظِرِ

١١ : الصوفي يلبس جلدَ القديس اوغسطين

إلهي عنكبوتٌ ، ينسجُ الاحلامَ في روحي
وينقشُ سقفَ هذا الكون بالرؤيا التي تُوحي
ويغزِلُ بُردةَ الايمان في خَلَدي وفي روحي
أطنُّ له بفلسفتي وتجديفي وتسبيحي
طنينَ ذبابةٍ عمياءَ لا تَقوى على الريحِ
ترصّدَ لي ليأكلَني مريئاً بعد تَشريحي
ففي الايمان كارثتي ، وفي الكُفران تبريحي
كصوفيٍّ وقفتُ ببابِ ديرٍ غيرِ مفتوحِ
ضرعتُ اليكَ ، لا تفتحْ ولا تُغلقْ على روحي